

تعرُّض أهل فلسطينيين وأحد أبنائهم المراهقين في إسرائيل للعنف المجتمعي، وانعكاساته عليهم

نيفين علي الصالح*

ملخص

ثمة دراسات عديدة فحصت التعرُّض للعنف المجتمعي وتأثيراته في الأطفال والشبيبة، وأظهرت هذه الدراسات ارتفاعاً متزايداً وملحوظاً في نسب تعرُّض الأطفال واليافعين لهذا النوع من العنف وانعكاساته السلبية عليهم وتأثيره فيهم. يبيِّن أنَّ قليلاً من هذه الدراسات فحصت تعرُّض البالغين لمثل هذا العنف، ولا سيَّما الأهل. أمَّا الدراسات الفلسطينية التي تناولت العنف المجتمعي، فهي قليلة جداً. تعرَّض المقالة الحالية جزءاً من نتائج دراسة الدكتوراه التي فحصت مدى تعرُّض أهالٍ فلسطينيين وأبنائهم المراهقين من إسرائيل للعنف المجتمعي، على نحوٍ مباشر أو غير مباشر، خلال فترة حياتهم، وعلى وجه التحديد في السنة الأخيرة. كذلك اهتمت الدراسة بفحص بعض الانعكاسات النفسية الناجمة عن التعرُّض لمثل هذا النوع من العنف، ولا سيَّما ظهور أعراض اضطرابات التوتر في ما بعد الصدمة (Post-traumatic stress symptoms)، وانخفاض مستوى الرفاهية النفسية لدى الأهل (Psychological well-being)، إضافة إلى ظهور أعراض مشاكل انطوائية وانسحابية (Internalizing and externalizing symptoms) تنعكس في مشاكل سلوكية، ونفسية، وعاطفية لدى أبنائهم المراهقين. اهتمت الدراسة كذلك بفحص عوامل مناعة أو حماية معينة، ومن ضمنها الكفاية الذاتية (Self-efficacy)، والكفاية الجمعية (Collective efficacy)، وعوامل الخطورة لدى الوالدين، كالشعور بالضغط الوالدي (Parental stress) ومدى الرقابة الوالدية (monitoring Parental)، التي من الممكن أن تخفّف أو تزيد من حدّة الانعكاسات السلبية نتيجة تعرُّض الأهل وأبنائهم للعنف المجتمعي.

تتكوّن عيّنة الدراسة من 760 أسرة فلسطينية من إسرائيل؛ اختير من كل بيت أحد الوالدين، وأحد أبنائهما المراهقين، للمشاركة في البحث: 453 أمًا، و 307 آباء، تتراوح أعمارهم بين 34 و 65؛ و 320 فتى، و 440 فتاة، تتراوح أعمارهم بين 14 و 18.

ملأ المشاركون في البحث استمارة ذاتية، واحدة مُعدّة للوالد/ة وأخرى للمراهق/ة. اختيرت العيّنة على نحو عشوائي منتظم (Systematic random sample).

أظهرت النتائج أنّ غالبية الأهالي المشاركين في البحث وأبناءهم المراهقين تعرّضوا للعنف المجتمعي غير المباشر خلال حياتهم. قرابة نصف الأهل المشتركين كانوا ضحايا للعنف على نحو مباشر خلال حياتهم، مقارنة مع 12% خلال السنة الأخيرة. أكثر من ثلث المراهقين كانوا ضحايا للعنف خلال حياتهم، مقارنة بـ 19% خلال السنة الأخيرة. أشارت نتائج البحث أيضًا إلى أنّ التعرّض للعنف المجتمعي له علاقة إيجابية بأعراض اضطراب التوتّر في ما بعد الصدمة وانخفاض مستويات الرفاهية النفسية لدى الأهل، وازدياد المشاكل السلوكية والعاطفية والنفسية لدى الشبيبة.

مقدّمة

المقصود بالعنف المجتمعي التعرّض لأعمال عنف من أشخاص لا تربطهم علاقة بالمعتدى عليه. الاعتداء يمكن أن يكون جسديًا، أو مطاردة، أو استعمال أسلحة، أو سلبًا، أو إطلاقًا للرصاص (Guterman, Cameron, & Staller, 2000). ويمكن لمستويات التعرّض أن تكون مباشرة أو غير مباشرة، مثل مشاهدة العنف، أو السماع عنه، أو سماع إطلاق نار. والتعرّض للعنف يمكن أن يكون بدرجات متفاوتة من حيث وتيرة الحدوث ودرجة صعوبة الحدث (Buka, Stichick, & Birdthisle, 2001).

مراجعة الأدبيات

تطرقت غالبية الدراسات في مجال العنف المجتمعي إلى مدى تعرّض الأطفال والشبيبة للعنف وتأثيراته عليهم. أشارت هذه الدراسات إلى مستويات عالية من التعرّض من (Kaynak, Lepore, & Kliwer, 2011; Scarpa, 2003). بالإضافة إلى ذلك، أشارت دراسات أخرى إلى أنّ الأولاد والشبيبة كشفوا أنّ لديهم صعوبات نفسية وعاطفية وذهنية وسلوكية ناجمة عن تعرّضهم للعنف المجتمعي، انعكست في مظاهر من الكآبة والقلق والحزن والعنف والتصرّف العدواني وتدني التحصيل العلمي (Fowler et al., 2009; Garrido, Culhane, Raviv, & Taussing, 2011; Schraft, & Kosson, & McBride, 2013). بينما أشارت الدراسات القليلة بين البالغين إلى ازدياد وانتشار التعرّض للعنف

المجتمعيّ على نحوٍ مقلق، بحيث أخبر 93%-97.5% من بين طلبة من الجامعات والكليات أنّهم كانوا شاهدين على أحداث عنف مجتمعيّ، ونحو 45%-82% أخبروا عن تجربة ذاتية كضحايا مباشرين لأنواع عنف مجتمعيّ خلال فترة دراستهم، وشملت العينة جميع العرقيّات في كليات وجامعات أمريكية مختلفة (Scarpa et al., 2002; Scarpa, 2006). دلّت دراسات أخرى كذلك أنّ نسبة تعرّض البالغين -ومنهم من هم أهالٍ- كانت عالية، وأنّ نسبة تعرّضهم بالمشاهدة كانت أعلى من التجربة الشخصية (Kliewer & Zaharakis, 2013; Fowler et al., 2008).

الدراسات الفلسطينية التي تناولت العنف المجتمعيّ قليلة، حيث تطرقت دراسة حاج يحيى وآخرين إلى مدى انتشار وخصائص التعرّض للعنف المجتمعيّ على عينة من اليافعين الفلسطينيين من القدس والضفة الغربية، وأشارت النتائج أنّ اليافعين الفلسطينيين قد أخبروا عن مستويات عالية من التعرّض وكانت نسبة المتعرّضين بالمشاهدة (87.4%) أكثر من المتعرّضين بالتجربة (72.8%) خلال حياتهم (Haj-Yahia, Leshem, & Guterman, 2013). ثمة دراسة أخرى لحاج يحيى وآخرين تطرقت إلى التعرّض للعنف المجتمعيّ وانعكاساته على طلبة مدارس عرب ويهود في إسرائيل تتراوح أعمارهم بين 14 و 18، أشارت نتائجها أنّ ثلثي المراهقين الفلسطينيين المشاركين في البحث أخبروا عن تجربة ذاتية لأحداث عنف، وغالبيتهم تقريباً أخبروا عن تعرّضهم بالمشاهدة لأحداث عنف مجتمعيّ خلال حياتهم، بحيث إنّ الفتيان أكثر عرضةً من الفتيات للعنف المجتمعيّ (Haj-Yahia, Leshem, & Guterman, 2011).

أمّا دراسة بيضون (2016)، فقد تطرقت إلى تعرّض طلبة من الجامعات الفلسطينية للعنف المجتمعيّ وانعكاساته عليهم، وأشارت نتائج دراستها أنّ نحو 94.4% من الطلبة صرّحوا بأنهم شاهدوا العنف المجتمعيّ، و 53.4% من طلبة الجامعات صرّحوا بأنهم جرّبوا حدثاً واحداً على الأقلّ من العنف خلال حياتهم.

أمّا في ما يتعلّق بانعكاسات التعرّض للعنف المجتمعيّ، فقد أظهرت العديد من الدراسات آثاراً سلبية على المتعرّضين للعنف المجتمعيّ تشمل مستويات عالية من العدوانية والاكتئاب واضطراب التوتّر ما بعد الصدمة (Fowler et al., 2003; Scarpa, 2009). كذلك أظهرت دراسات أخرى انعكاساتٍ وردود فعل سلبية، كالقلق والحزن والأفكار الدخيلة والتفكّك (Garido et al., 2011). في دراسة بيضون (2016) حول انعكاسات تعرّض الطلبة الفلسطينيين للعنف المجتمعيّ، أشارت النتائج إلى وجود ارتباط وعلاقة ذات دلالة إحصائية بين التعرّض للعنف المجتمعيّ بمستويات المشاهدة والتجربة خلال الحياة، والأعراض النفسية التالية: القلق؛ الاكتئاب؛ التفكّك؛ اضطرابات النوم؛ PTSD. أمّا بالنسبة للسنة الأخيرة، فقد أظهرت النتائج وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين مشاهدة العنف المجتمعيّ والتفكّك والقلق والاكتئاب.

أهمّية الدراسة تتحدّد بكونها تنطرق إلى عيّنة بحث واسعة ومتنوّعة وتشمل الأسر (أحد الوالدين وأحد الأبناء المراهقين) من المجتمع الكليّ.

أهداف البحث:

ثمّة أهداف عدّة للدراسة الحاليّة، من بينها فحص مدى تعرّض أهالٍ فلسطينيّين من إسرائيل، وأحد أبنائهم المراهقين، للعنف المجتمعيّ، على نحوٍ مباشر أو غير مباشر، خلال فترة حياتهم، وتحديدًا في السنة الأخيرة. كذلك اهتمّت الدراسة بفحص بعض الانعكاسات النفسيّة الناجمة عن التعرّض لمثل هذا النوع من العنف. من أسئلة البحث: ما هي مستويات التعرّض للعنف المجتمعيّ لدى الأهل، المباشر أو غير المباشر (مشاهدة، أو سماع إطلاق نار، أو تجربة ذاتيّة)، خلال فترة حياتهم، وتحديدًا في السنة الأخيرة؟ ما هي العلاقة بين مستويات التعرّض للعنف المجتمعيّ وظهور أعراض اضطراب التوتر في ما بعد الصدمة؟ هل ازدياد تعرّض المراهقين للعنف المجتمعيّ مرتبط بزيادة ظهور المشاكل السلوكيّة والنفسيّة والعاطفيّة لدى المراهقين؟

منهجية البحث وسيرورته:

تعرّض المقالة جزءًا من بحث واسع من رسالة دكتوراه في موضوع العمل الاجتماعيّ. المشاركون فيه هم عيّنة عشوائية ومنتظمة من الأسر، أي هم أهالٍ فلسطينيّون من إسرائيل ومراهق/ة واحدة من أبناء كلّ أسرة منهم، وتمثّل قدر الإمكان المجتمع الفلسطينيّ في إسرائيل، الذي دُرِس من زاوية الجنس، والديانة، والمنطقة السكنيّة، وعدد سكّان البلدة. بلغ معدّل تجاوب الأهالي 63% من مجمل الأسر التي وصل الفريق إليها. قام المشاركون في البحث بتعبئة استمارة بصورة شخصيّة. جرّت عمليّة جمع البيانات في الفترة الواقعة بين العامين 2014 - 2015.

العيّنة

تتكوّن عيّنة الدراسة من 760 أسرة فلسطينيّة من إسرائيل؛ اختير من كلّ بيت أحد الوالدين، وأحد أبنائهم المراهقين للمشاركة في البحث: 453 أمًّا، و 307 آباء، تتراوح أعمارهم بين 34 و 65، و 320 فتى، و 440 فتاة، تتراوح أعمارهم بين 14 و 18. ملأ المشاركون في البحث استمارة ذاتيّة، واحدة مُعدّة للوالدة وأخرى للمراهق/ة.

بُنيت الاستمارة من عدّة مقاييس؛ وللتأكّد من وضوح الأسئلة والتعليمات في الاستمارة، وللتأكّد من أنّ المشتركين لم يشعروا بعدم الراحة نتيجة ملئهم للاستمارة، اختُبرت الاستمارة مسبقًا (Pre-test)، إذ عُرضت على 60 أمًّا وأبًا، و 60

فتاة وفتى (غير مشمولين في عينة البحث). ملاحظات الأهل والمراهقين التي أتت في أعقاب اختبار الاستمارة المسبق أخذت بعين الاعتبار، وعُدلت الاستمارات نهائياً وفقاً لها.

تشمل الاستمارة النهائية بيانات حول الخصائص الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية: الجنس؛ السن؛ الديانة؛ منطقة السكن؛ مستوى دراسة الأهل؛ حجم البلدة؛ معدّل دخل العائلة. وتضمّنت الاستمارة مقاييس فحصت التعرّض للعنف المجتمعي، وأعراض التوتر في ما بعد الصدمة، والرفاهية النفسية، ومشاكل سلوكية وعاطفية.

عرض جزء من نتائج الدراسة

أظهرت النتائج أنّ غالبية الأهالي المشاركين في البحث، وأبناءهم المراهقين، تعرّضوا للعنف المجتمعي غير المباشر؛ أي عاينوا العنف وسمعوا إطلاق نار خلال حياتهم. نصف الأهل المشتركون كانوا ضحايا مباشرين للعنف خلال حياتهم، مقارنة بـ 12% خلال السنة الأخيرة. أكثر من ثلث المراهقين كانوا ضحايا للعنف خلال حياتهم، مقارنة بـ 19% خلال السنة الأخيرة. كان الفتيان أكثر عرضة للعنف المجتمعي من الفتيات، والآباء أكثر عرضة للعنف من الأمهات خلال حياتهم.

نتائج البحث المتعلقة بمستويات التعرّض للعنف المجتمعي بين الأهالي وأبنائهم المراهقين، والتي أظهرت بأنّ نسب تعرّضهم للعنف غير المباشر أعلى من التعرّض المباشر بالتجربة الشخصية، تتفق مع نتائج دراسات سابقة كانت قد أسفرت عن نتائج مشابهة (Haj-Yahia et al., 2013; Scarpa, 2003). كذلك الأمر بشأن الاختلاف في مستوى التعرّض بين الآباء والأمهات، والفتيان والفتيات، إذ إنّ الآباء أكثر عرضة للعنف المجتمعي من الأمهات خلال الحياة، والفتيان أكثر عرضة للعنف المجتمعي من الفتيات، إذ تتفق هذه مع نتائج لأبحاث سابقة (Scarpa, 2003; 2001).

بيّنت النتائج المتعلقة بالأعراض النفسية والعاطفية الناجمة عن التعرّض للعنف المجتمعي صحّة الفرضيات المركزية: كلما ازدادت مستويات التعرّض للعنف المجتمعي لدى الأهل وأبنائهم المراهقين، بالمشاهدة والتجربة الذاتية، خلال حياتهم، وفي السنة الأخيرة تحديداً، زادت أعراض اضطراب التوتر في ما بعد الصدمة، وانخفضت مستويات الرفاهية النفسية لدى الأهل، وزادت أعراض المشاكل الانطوائية والانبساطية لدى أبنائهم المراهقين، أي أعراض مشاكل سلوكية وعاطفية ونفسية لديهم. تتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسات سابقة أظهرت وجود علاقة إيجابية وذات دلالة إحصائية بين التعرّض للعنف المجتمعي وظهور أعراض نفسية سلبية (Mitchell, Lewin, Horn, Valentine, & Sanders-Phillips, 2010).

صعوبات الدراسة

في الإمكان الإشارة إلى أن هنالك عدّة صعوبات واجهت الدراسة، وأهمّها ما يتعلّق بجمع المعطيات والحصول على عينة تمثّل مجتمع البحث والوصول إلى عدّة فئات ومجموعات من المجتمع ومن مناطق مختلفة من مجتمعنا الفلسطيني.

حجم أداة الدراسة، أي طول الاستمارة، سبّب عائقاً؛ وذلك أنّها تضمّنت عدداً كبيراً نسبياً من الصفحات، وهو ما أدّى إلى رفض جزء من الأهالي والمراهقين الاشتراك في البحث وإلى عدم تعاونهم، أو عدم إكمال تعبئة الاستمارة بسبب شعورهم بالملل أو التعب خلال تعبئتها.

إنّ عدم الوضوح في تعريف مصطلح "العنف المجتمعيّ" ولّد صعوبةً لدى المشاركين في البحث ووقوعاً في بلبلة بين أنواع عنف أخرى قد تعرّضوا لها في الفترة الأخيرة. كذلك ثمة إشكاليّة في تعريف مصطلح "العنف المجتمعيّ"؛ ولرّما كان مردّد ذلك إلى التشابه في الانعكاسات بينه وبين أنواع عنف أخرى كالعنف داخل الأسرة، وكذلك بسبب الترابط في العلاقات مع العائلة الموسّعة التي ما زالت سائدة في المجتمع العربيّ الفلسطينيّ، والوقوع في بلبلة بين حدود العائلة المصغّرة والعائلة الموسّعة في ذلك السياق.

وثمة صعوبة أخرى تمثّلت في كون المقاييس التي استُخدمت في البحث طوّرت في مجتمعات غربيّة؛ إذ بالرغم من ترجمة المقاييس من الإنجليزيّة إلى العربيّة وملاءمتها لغويّاً وثقافيّاً لمجتمع البحث، هنالك حاجة إلى تطوير مقاييس باللغة العربيّة، وذلك عبّر إضافة أسئلة مفتوحة للمشاركين في نهاية الاستمارة.

إضافة إلى الصعوبات التي ذُكرت أعلاه، الأسئلة التي فحصت التعرّض للعنف المجتمعيّ لم تتطرق إلّا إلى أنواع عنف جسديّ ونفسيّ، ولم تتطرق إلى أنواع عنف أخرى من المحتمل التعرّض لها. لذلك نوصي بتطوير أبحاث مستقبلية في المجال لدراسة التعرّض لأنواع عنف أخرى، منها الكلاميّ والسياسيّ، وكذلك العنف الجنسيّ والتحرّشات التي يمكن أن تحدث أيضاً في المجتمع.

أهميّة البحث في أنّه يسلّط الضوء على مدى التعرّض للعنف المجتمعيّ المباشر وغير المباشر وأعراضه السلبية على الأهل الذين هم مصدر دعم مهمّ داخل الأسرة. إنّ الانعكاسات السلبية على الأهل لها إسقاطاتها كذلك على الوالديّة وأفراد العائلة.

للدراصة إسهامات في مجال التدخّل، والعلاج، وفحص عوامل حماية لدى المتعرّضين للعنف المجتمعيّ، تتيح للمهنيين والمعالجين بناء برنامج علاج وتدخل خاصّ بالعائلات يرمي إلى تعزيز هذه العوامل وتطويرها لديهم لمواجهة التعرّض للعنف المجتمعيّ بقوة.

نتائج البحث توصي بالعمل الجادّ في سبيل الحدّ من ظاهرة العنف المتفشّية في المجتمع، وذلك من خلال بناء برنامج عمل للتداخل مع العائلات (الأهل والأبناء) لرفع الوعي في هذا المجال وماهيّة انعكاساته. هذا البرنامج يجب أن يشمل ثلاثة صُعد: الفرد؛ العائلة؛ المجتمع. لتنفيذ مشاريع توعويّة لمشكلة العنف والتدخل للحماية من الأعراض، يجب العمل على التشبيك بين عدّة جهات ومؤسسات في المجتمع، وذلك عبر إدراج سلك التعليم والصحة والرفاه الاجتماعيّ والخدمات النفسية والمؤسسات الدينيّة المختلفة في المجتمع الفلسطينيّ في سبيل التصديّ لمثل هذه المشكلة والتخفيف من انعكاساتها السلبية. تخصيص ميزانيّات من الوزارات المختلفة لبناء مثل هذه البرامج هو مرحلة أساسيّة لتنفيذ خطة للعمل والحدّ من ظاهرة العنف المجتمعيّ.

References

- Baidoun, H. (2016). *Exposure to community violence and its impacts on Palestinian's students: Can self -efficacy, family support, and provision moderate the impacts of exposure?* Thesis submitted in partial of fulfillment of the requirement for the master degree in social work (M. S. W). The Hebrew University of Jerusalem. Jerusalem.
- Buka, S. L., Stichick, T. L., Birdthisle, I., & Earls, F. J. (2001). Youth exposure to violence: Prevalence, risks and consequences. *American Journal of Orthopsychiatry*, 71, 298-310.
- Guterman, N. B., Cameron, M., & Staller, K. (2000). Definitional and measurement issues in the study of community violence among children and youths. *Journal of Community Psychology*, 28, 571-587. doi: 10.1002/1520-6629

- Haj-Yahia, M. M., Leshem, B., & Guterman, N. B. (2013). The rates and characteristics of the exposure of Palestinian youth to community violence. *Journal of Interpersonal Violence*, 28, 2223- 2249.
- Haj-Yahia, M. M., Leshem, B., & Guterman, N. B. (2011). Exposure to community violence among Arab youth in Israel: Rates and characteristics. *Journal of Community Psychology*, 39, 136-151.
- Kaynak, O., Lepore, S. J., & Kliewer, W. L. (2011). Social support and social constraints moderate the relation between community violence exposure and depressive symptoms in an urban adolescent sample. *Journal of Social and Clinical Psychology*, 30, 250-269.
- Kliewer, W., & Zaharakis, N. (2013). Community violence exposure, coping, and problematic alcohol and drug use among urban, female caregivers: A prospective study. *Personality and Individual Differences*, 55, 361-366.
- Fowler, P., Tompsett, C., Braciszewski, J., Jacques-Tiura, A., & Baltés, B. (2009). Community violence: A meta-analysis on the effect of exposure and mental health outcomes of children and adolescents. *Development and Psychology*, 21, 227-259.
- Garrido, E. f., & Culhane, S. E., Raviv, T., & Taussing, H. (2010). Does community violence exposure predict trauma symptoms in a sample of maltreated youth in foster care? *Violence and Victims*, 25, 755-769.
- Mitchell, S. J., Lewin. A., Horn. I. B., Valentine, D., & Sanders-Phillips, K. (2010). How does violence exposure affect the psychological health and parenting of young African-American mothers? *Social Science & Medicine*, 70, 526-533.
- Scarpa, A., Hurley, J., Shumate, H. W., & Haden, S. C. (2006). Lifetime prevalence and socioemotional effects of hearing about community violence. *Journal of Interpersonal Violence*, 21, 5-23.
- Scarpa, A. (2001). Community violence exposure in a young adult sample: Lifetime prevalence and socio-emotional effects. *Journal of Interpersonal Violence*, 16, 36-53.
- Scarpa, A. (2003). Community violence exposure in young adults. *Trauma, Violence, & Abuse*, 4(3), 210-227.

Scarpa, A., Fikretoglu, D., Bowser, F., Hurley, J. D., Pappert, C. A., & Romero, N. (2002). Community violence exposure in university students: A replication and extension. *Journal of Interpersonal Violence, 17*, 253-272.

Schraft, C. V., Kosson, D. V., & McBride, C. k. (2013). Exposure to violence within home and community environments and psychopathic tendencies in detained adolescents. *Criminal Justice and Behavior, 40*, 1027-1043.

*نيفين علي الصالح هي باحثة اجتماعية، طالبة دكتوراة بالعمل الاجتماعي في الجامعة العربية في القدس.